Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الخامس - العدد االثالث عشر || تاريخ الإصدار 2026-04-20

أفعال الحواس في آيات من القرآن الكريم "في ضوء براغماتية اللسانيات العصبية"

The verbs of the senses in the Quranic verses “According to the pragmatism of neurological linguistics”

د. نعمة نور الدين حمادنة

Ne'meh Nour Aldeen Badi Hamadneh

باحثة، حاصلة على درجة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها (التخصص الدقيق: اللغة والنحو)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss51322

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى البحث في آليات وصول المعلومة إلى مراكز الإدراك عند الناس الطبيعيين غير المريضين، من أجل فهم المقصدية بناءً على سياق معين، وبالإفادة من البراغماتية، وتحديدا تحليل فودور لآلية اشتغال الدماغ الذي يتجه نحو الاستقراء والاستدلال بعيدا عن التوقع والحدس، وبيان النتائج التي تترتب على دراسة دماغ الناس الطبيعيين، من أجل ضبط عملية التواصل اللغوي اللساني بالربط بين الإدراك والوعي كما جاءت عند سيرل، وجاءت هذه الدراسة في مبحثين، تناول المبحث الأول الجانب النظري للسانيات العصبية، والمبحث الثاني أفعال الحواس في آيات مختارة من القرآن الكريم، وتضمن الأفعال الدالة على السمع والبصر واللمس.

وخلصت الدراسة إلى أن عملية التواصل المتمثلة بالبراغماتية العصبية لم تتحقق عند الناس الطبيعيين على الرغم من سلامة جميع الأعضاء الحسية، ومراكز الإدراك لأسباب نفسية ناتجة عن أثر خارجي سيطر على جميع المراكز، وأحال دون وصول الحقيقة إليها، بالإضافة إلى عدم إرادتهم إلى معرفة الحقيقة بالكلية؛ لأن التكامل بين الأجهزة يحقق الإدراك بالكلية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العصبية، البراغماتية، أفعال الحواس.

Abstract:

This study aims to investigate the mechanisms of information reaching the cognitive centers of normal, non-patient people, in order to understand the intentionality based on a specific context, and to benefit from pragmatism, specifically Fodor's analysis of the mechanism of brain functioning that tends towards induction and deduction away from expectation and intuition, and to show the results that follow from the study of the brain of normal people, in order to adjust the process of linguistic communication by linking cognition and consciousness as stated by Searle. This study came in two parts, the first dealing with the theoretical aspect of neurolinguistics, and the second with the verbs of the senses in selected verses of the Holy Quran, including the verbs of hearing, sight, and touch.

The study concluded that the communication process represented by neurological pragmatism was not achieved in normal people despite the integrity of all sensory organs and perception centers for psychological reasons resulting from an external influence that controlled all centers and prevented the truth from reaching them, in addition to their unwillingness to know the truth completely; because the integration between the organs achieves perception completely.

Keywords: Neurolinguistics, pragmatism, sensory acts.

المقدمة

تبحث اللسانيات العصبية (**pragmatism of neurological**) في اللغة في الدماغ في إطار البنية العصبية (أحمد، 2019، ص11)، "يقوم الدماغ بعملية الاتصال وتنطلق منها الأوامر بالفعل الكلامي الذي سينطق به الشخص، هذه الأوامر تسير في مسارات عصبية محددة تم تصويرها من قبل أجهزه مختصة كالتصوير بالرنين المغناطيسي...، لهذا كانت العلاقة بين الدماغ وعملية التواصل قوية، فالأولى تصدر الأمر وتصنعه، والثانية تقوم بتوصيله لسامعيه أو أعضاء الجسد لتنفيذه، والتداولية تقوم بتنفيذ عملية التوصيل والإشراف عليها، ووضع ضوابط تحكمها" (أحمد، 2020، ص10).

لذلك انصبت جهود العلماء في الغرب على التداولية من جانبها العصبي، دارسين أمراض النصف الأيمن من المخ الذي يعنى بالتداولية، بالإضافة إلى دراسة الأمراض العصبية التي تصيب الفرد نتيجة إصابة آفة النصف الأيمن من المخ التي تؤثر على عملية التواصل، وكيفية معالجتها (أحمد، 2020، ص11).

وبناء على ذلك يعرف عطية سليمان أحمد التداولية العصبية بأنها: "علم يدرس العلاقة المتبادلة بين دماغ الفرد ومجتمعه" (أحمد، 2020، ص6)، فالدماغ يمثل الأساس العصبي لعمل النظرية التداولية، فيتفاعل دماغ الفرد مع مجتمعه في حياته اليومية، لذلك يقول عطية سليمان أحمد لهذا لا يستنكر أحد علينا تبحرنا في علم الأعصاب، وتناول بحوثه، وربطها بعملية التواصل؛ لمعرفة أثر إصابتها على عملية التواصل، بل أثر المرض على علاقة الفرد بنفسه ومجتمعه (أحمد، 2020، ص7).

وعليه ستبحث هذه الدراسة في أفعال الحواس في القرآن الكريم، المتعلقة في السمع والبصر واللمس، التي تخضع للجهاز العصبي والإحساسات الخارجية المتمثلة في الوعي في آن واحد، ومدى استجابة السامع وإدراكه لمضمون الآيات القرآنية، والمثيرات الخارجية المتمثلة بالسياق التي تعتبر بمثابة منبهات، ينتقل أثرها عبر أعصاب خاصة، تحول هذه المنبهات إلى حالة شعورية بسيطة تتمثل في أثر نفسي مباشر، يعمل على إيقاظ فكر الإنسان لبناء تشابكات جديدة تربطه مع الواقع الحقيقي المدرك بها.

لذلك سوف تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي، فتنتخب آيات من القرآن الكريم دالة على الحواس من سور مختلفة، فضلا عن الاستعانة بالتفاسير القرآنية، والمعاجم اللغوية، كما تفيد من النظريات البراغماتية اللغوية، وتحديدا تحليل فودور لآلية اشتغال الدماغ، بهدف الوصول إلى المقصدية الحقيقية الناتجة عن السياق.

وبناء على ما سبق، تتمثل أهمية الدراسة في تناولها الخطاب القرآني الخلقي، في آيات مختارة من القرآن الكريم، كما تكمن أهميتها في سعيها للاستفادة من النظريات الحديثة في دراسة آلية اشتغال الدماغ عند الناس العاديين، الذين لا يعانون من أي أمراض.

كما تهدف هذا الدراسة إلى بيان المنهجية المعاصرة في التحليل اللساني كما جاءت عند فودور، التي تتجه نحو الاستقراء والاستدلال بعيدا عن التوقع والحدس، وبيان النتائج التي تترتب على دراسة دماغ الناس العاديين من أجل ضبط عملية التواصل اللغوي اللساني بالربط بين الإدراك والوعي.

المبحث الأول

الأصول التداولية لآلية اشتغال الدماغ عند الغرب

ومن العلماء الذين بحثوا في الأصول العصبية للتداولية:

1. **فودور وزملاؤه.**

فبحث فودور (Fodor) وسبيربر وولسون (sperber/ wilson) أصحاب نظرية كبرى في الدراسة التداولية العصبية، وأطلقوا عليها مصطلح اشتغال الدماغ؛ فبينوا أن اشتغال الدماغ أمر أساسي للعملية التداولية، وقسموا المراحل التي تمر بها المعلومة...، حتى تصل إلى الدماغ، وتتفاعل معها إلى: التحويل والنظام الطرفي والنظام المركزي، وبينوا آلية استقبال المعلومة ومعالجتها بالدماغ، وبذلك فإنهم أول من تكلم عن التداولية بالدماغ، وتوجهوا بالتداولية نحو الدماغ ودراستها (أحمد، ص8).

وتعرف نظرية فودور بالنظرية القالبية، وتنطلق من تصور خاص للمعالجة الإخبارية، ويمر بمراحل معينة بدءا من مرحلة اللواقط (Transducers)، التي تتعدد وظيفتها في ترجمة الإدراكات المباشرة (perceptions) مهما كان مصدرها، ومن ثم نقلها إلى الدماغ بقصد المعالجة، ثم ينتقل إلى مرحلة الأنظمة الدخل (input) أو الأنظمة البعيدة عن المركز (peripheriques)، وهي متخصصة في معالجة المعطيات المستمدة من اللواقط، سواء أكانت من المجال البصري أم اللغوي، أم السمعي بقصد تأويل ملفوظ معين، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتعرف بمرحلة الأنظمة المركزية (central systems)، وفي هذه المرحلة يكتمل التأويل بموجب عملية دمج الإخبار الناتج عن اللاقط والأنظمة الدخل، بالإخبار المخزن في الذاكرة التصورية، وذلك من أجل إنتاج استدلالات غير برهانية (صحراوي، 2005، ص37). و"يبين سبيربر وولسون أنه في قلب هذه المرحلة تتكون وتترسخ الفرضيات وتظفر الأقوال بتأويل تام" (أحمد، ص37).

أ. جون سيرل.

يعد جون سيرل من أكبر علماء التداولية المعاصرين، وأكثرهم تقصيا لحقيقة الجانب العصبي في علاقته بالنظرية التداولية، فقدم في كتابه (العقل واللغة والمجتمع)، حديثا مفصلا عن الوعي والانتباه واللاوعي وعلاقتهم بالتداولية، كما تحدث عن مركز الوعي، وفصل الأمر وتناوله بخبرة عالم عصبي، مشيرا إلى أثر ذلك على نجاح العملية التواصلية، كما ركز على الوعي وأثره على تحقيق القصدية، ولم ينس أثر الآفات التي تصيب المخ على العملية التواصلية التداولية (أحمد، ص8).

ب. لورين أوبلر وكريس جيرلو:

وهما من كبار علماء الأعصاب الذين قدموا فهما جديدا للتداولية، مبينين أثر علم الأعصاب في هذا الميدان، فأظهرا علمهما بالنظرية التداولية على الرغم من تخصصهما في علم الأعصاب الذي يبدو بعيدا عن مجالهما، فقد بينا أن هناك عضوا في الجسد هو المسؤول عن التداولية، وأنه يمرض واستعانا في بيان ذلك بآراء علماء التداولية مثل غرايس، واستشهد في مبادئه في الاستدلال على أمراض التداولية (أحمد، ص8).

يقول عطية سليمان أحمد في كتابه: "نظرت إلى بحوث علماء العرب في المشرق والمغرب ودراساتهم حول النظرية التداولية العصبية، فرأيتهم لم يتناولوا الجانب العصبي مطلقا، فلم يقدموا مؤلفا واحدا أو بحثا بهذا العنوان (التداولية العصبية)...، على الرغم من كثرة بحوثهم حول التداولية وعمقهم في التحليل والتناول" (أحمد، ص9).

فالتداولية في اللسانيات العصبية لها مفهومها الخاص فتعرف بأنها: "اشتغال الدماغ في فهم الآخر وإفهامه "(أحمد، ص9)، فهذا التعريف يصور التداولية على أنها آلة لم يخترعها الإنسان، فهي قدرة يتميز بها العقل البشري إنه بعد أن يفهم الشيء ويستنبط ويستدل منه على ما يريد، يشرع في إفهامه للآخرين بالتفاعل والتعاون مع بني جنسه (أحمد، ص18).

"مثال: لو لاحظت طفلا صغيرا يتعلم تشغيل الهاتف المحمول، ثم نظرت إليه بعد أن فهم كيف يعمل وتيقن تشغيله ستجد أنه يسرع في تعليمه لأقرانه متفاخرا باكتساب هذه المهارة" (أحمد، ص18).

يؤكد جيف فيرشورين في فكرته حول التداولية، أن التداولية تختلف عن الدراسات التواصلية في تركيزها على اللغة، ويدعوا إلى الأخذ بالمحددات غير اللغوية التي توجد في الحدث، وتوضيح المقصود منه، فهي خلفيات نفسية واجتماعية لا بد منها (أحمد، ص28).

ويرى جاك موشلار وزميله، أن البحث التداولي في اللسانيات العصبية لا يتم بالمعنى الضيق للمصطلح، على مستوى المظاهر الترميزية للغة، بل يعالج عمليات التأويل التي تلتصق بالترميز؛ لتتمكن من التأويل التام للجمل، أي التأويل التداولي (أحمد، ص31)، "فاللغة رموز لها معانيها المحددة لا تكفي لفهم الأحداث والأشياء وحدها" (أحمد، ص31).

"بل يجب أن تكون هناك عناصر أخرى في الحدث الكلامي، تمكننا من تأويله بصورة صحيحة، هذا ما يجعل التداولية مطلبا أساسيا لفهم الأحداث والأشياء، فالذي يرى طائرا في السماء، إذا سألناه: ما تفسير كل هذا الحدث؟ فيقول المضمون اللغوي للعبارة، إنه مجرد طائر كالآلف الطيور، يطير في السماء، لكن الحقيقة الأمر غير ذلك، حيث ستختلف إجابات الناس حسب اهتماماتهم، فقد يكون هذا الرجل مسافرا في الصحراء، فيقول: هذا دليل على وجود بئر ماء قريب من هنا، وقد يكون الرجل صيادا، فيسرع باصطياده...، وهذا يعني أن إدراكنا للعبارة وللشيء والحدث الواحد يختلف من شخص إلى آخر، فتأتي التداولية لتفسير الحدث وتأويله حسب استنتاج واستدلال كل شخص له، في ضوء ملابسات الحدث من الافتراض المسبق والاستلزام الحواري وقصدية المتكلم...، وهو ما تسعى إليه النظرة التداولية، اعتمادا على عمليات عقلية تقوم على قدرة داخل الدماغ، مختصة بهذا الشأن، لذا يجب ألا تعتمد على اللغة وحدها في عملية الاستدلال والاستنتاج، بل يجب أن تستعين بقرائن أخرى (أحمد، ص31).

وهكذا تتم عملية اشتغال الدماغ في التداولية، "فالتداولية في حقيقتها هي ملاحظة العملية الذهنية العقلية التي يقوم فيها الدماغ بالربط بين الأشياء المتفقة والمختلفة، وربما المتنافرة، وفهم كل ما في الكون من أشياء، وفي عالم المتكلم والمتلقي، ومحاولة إفهامها للآخرين والتواصل معهم، وخلق عالم من الخيال في عقول البشر حول الأشياء المعروفة وغير المعروفة في عالمنا، هذا القول هو تحليل لعمل الدماغ في معالجة المعارف، وهو ما يعرف لدى علماء التداولية بقضية اشتغال الدماغ، أي العمليات التي يقوم بها الدماغ لبناء هذه العوالم في فضائنا الذهني" (أحمد، ص74).

وذكر عطية سليمان أحمد في كتابه التداولية العصبية مجموعة من الآراء حول آلية اشتغال الدماغ في النظريات التداولية، وسوف ندرس منها تحليل فودور لآلية اشتغال الدماغ تداوليا.

فيقول فودور تسير المعلومة وفق مسار يسمى المسار العصبي للمعلومة، كما يرى علم الأعصاب - ويسمى المحولة، فعندما يقع حدث سواء كان صوت أو ظهور شيء في الرؤية أو قول، فإن معطيات الإدراك الحسي تُعالج في محولة (تترجمها)، إلى نسق يقرأه النظام (أحمد، ص80) ، "فتتم معالجة المعلومة التي وصلت إلى الدماغ بواسطة نظام طرفي، وهو عبارة عن منظومة وظيفتها الخاصة معالجة المعلومة القادمة عبر الحواس، وتتنوع نظم المعالجة الطرفية حسب نوع المعلومة الواردة إليها داخل مراكز المخ المختلفة، فالمعلومة البصرية يختص بها مركز الإبصار، والسمعية يختص بها مركز السمع، والشمية يختص بها مركز الشم، واللمسية تختص بها مركز اللمس، وإلى جانب وجود نظام مختص بمعالجة المعلومة اللغوية، ويقوم هذا البرنامج الدماغي الذي يعالج المعلومة في الدماغ بتفسير هذه المعلومة التي تلقاها عبر حواسه المختلفة وتأويلها، وفي المرحلة الأخيرة ينتقل هذا التفسير من النظام الطرفي المختص إلى النظام المركزي الذي يقوم بإتمام هذا التأويل ومراجعته وتصحيحه، وذلك من خلال مقارنة المعلومة الجديدة مع المعلومة الموجودة لديه سلفا، وكذا مقارنتها بمعلومات قدمت له من أنظمة طرفية أخرى، ثم يقوم النظام المركزي بتقديم معلومات ناتجة عن عملية استدلال كنتيجة لما سبق من عمليات، هي عمليات التفكير العميق إلى مخ المرء" (أحمد، ص81).

عندما نتأمل عظمة الخالق ونتدبر قدرته على خلق الإنسان، نرى جوانب وعجائب تجذب المتأمل والمفكر، للبحث واكتشاف المزيد، فهناك في هذا البناء المحكم صور لأعضاء محسوسة بالمعنى المعنوي، وصور غير محسوسة فهي قدرات كامنة، يحكمها نظام ناتج عن الأفعال المحسوسة، وفي هذا المبحث سوف نتناول الأفعال المحسوسة المتمثلة في السمع، والبصر، واللمس.

المبحث الثاني

أفعال الحواس في آيات مختارة من القرآن الكريم

أولا: الأفعال الدالة على السمع.

تعد معجزة السمع معجزة كبرى، لذا حاول العلم الحديث معرفة شيء عن هذه المعجزة، فيقول الأستاذ عبد الرازق نوفل في كتابه الله والعلم الحديث: تبدأ حاسة السمع بالأذن الخارجية، ولا يعلم إلا الله أين تنتهي (عبد العزيز، د.ت، ص20). "وتتكون الأذن من ثلاثة أجزاء: أذن خارجية، ثم أذن وسطى، ثم أذن داخلية، أما الأذن الخارجية فتتكون من صوان على شكل بوق يقوم بتجميع الأصوات من الاتجاهات المختلفة المحيطة بالإنسان لتركيزها على فتحة القناة السمعية الخارجية التي تؤدي بدورها إلى القناة السمعية الخارجية" (عبد العزيز، د.ت، ص20).

وعرض بعض المفسرين، خواص تركيب حاسة السمع وأدواتها (الأذن)، تدليلا على الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان وإنشائه، ومن هؤلاء المفسرين سيد قطب في كتابه ظلال القرآن، ويذكر تتبع الأستاذ عبد الرزاق نوفل لسير الحس السمعي بدءا بالأذن الخارجية، فالوسطى، فالداخلية، وما تحتوي عليه من لوالب وأقواس غاية في التعقيد، ثم يتساءل سيد قطب عن هذا التعقيد وكيفية تركيبه وعظمته التي تحير الألباب (الطويسي، 1989، ص159)، "وبينما ابن خلدون أهميتها بقوله: السمع أبو الملكات، إذ لا يمكن اكتساب مهارة الكلام ولا القراءة بدون سماع" (ابن قطاية، 2018، ص2)، وتتم عملية السماع عن طريق "استقبال الأذن لذبذبات صوتية من مصدر معين مع إعطائها اهتمامًا وانتباهًا، وإعمال الفكر فيها" (ابن قطاية، ص4).

وتشتمل عملية السماع على رموز لا مدلول لها، قد ينطق الإنسان ولكن لا يقول شيئًا، ولكن يدرك مضمون الكلام من خلال الاستماع، الذي يتم من خلال إدراك الرموز اللغوية المنطوقة عن طريق التمييز السمعي، ومن ثم فهم مدلول هذه الرموز، وبالتالي إدراك الوظيفة الاتصالية أو الرسالة المتضمنة في الرموز أو الكلام المنطوق، وتفاعل الخبرات المحمولة في هذه الرسالة مع خبرات المستمع وقيمة معاييره، ونقد هذه الخبرات وتقويمها والحكم عليها في ضوء المعايير المناسبة للمتلقي (مدكور، 1991، ص75-76).

وعليه اختارت هذه الدراسة الآية التالية من **سورة الأعراف الآية (179)** لتبين آلية السمع في ضوء براغماتية اللسانيات العصبية.

قال تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: 179].

"يقول تعالى مبينًا كثرة الغاوين الضالين، المتبعين إبليس اللعين: ولقد ذرأنا أي: أنشأنا وبثثنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس صارت البهائم أحسن منهم، لهم قلوب لا يفقهون بها أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة، ولهم أعين لا يبصرون بها ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها، ولهم آذن لا يسمعون بها سماعا يصل معناه إلى قلوبهم، أولئك الذين بهذه الأوصاف القبيحة كالأنعام، أي: البهائم التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يفنى على ما يبقى، فسلبوا خاصية العقل" (السعدي، 2001، ص309).

فهذه الآية مدعاة للتفكر بتشبيه من يملك العقل بالبهائم، لأنهم بغفلة، فقال ابن عاشور: "الغفلة عدم الشعور بما يحق الشعور به، وأطلق على ضلالهم لفظ الغفلة بناء على تشبيه الإيمان بأنه أمر بين واضح يعد عدم الشعور به غفلة" (ابن عاشور، ص182).

فالله سبحانه وتعالى أراد من الكافرين هنا أن ينتفعوا بشيء من الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية، ولكنهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح، أي كالسارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها، إلا في الذي يقيتها، **كقوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء) [البقرة: 171]**، أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان، كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها، لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه ما يقول (القاسمي، 1957، ص713).

وعند الرجوع إلى اللسانيات العصبية لتفسير ما سبق، نلحظ أنه عندما يتلقى الكافر المعلومة عن طريق العضو اللازم في ذلك الموقف المتمثل في إتباع الكافرين الباطل، والبعد عن طريق الحق بالعضو السمعي من خلال مستقبلات حسية تكون مرتبطة بمراكز خاصة موجودة في قشرة الدماغ، ومن المعلوم أن الإنسان عندما يتلقى المعلومة لا يستقبلها من خلال عضو واحد، فمن الممكن أن يتلقى المعلومة سمعا وبصرا في آن واحد، فتتفاعل

عدة أعضاء أخرى في استقبال المعلومة مثل اللمس والشم، ولكن عندما نتحدث عن هذا الموقف مثلا في القران الكريم، فإنه يركز على السمع والبصر، حيث إن هذين العضوين هما أعضاء التواصل بين البشر، وتلقي أمر الله ورؤية آيات الله في الكون، وبعد استقبال هذا التأثير السمعي، فإنه يذهب إلى مراكز خاصة في الدماغ معروفة وموجودة في قشرة الدماغ، وقشرة الدماغ هي التي تميز الإنسان عن باقي المخلوقات، حيث أنه يمتلك القدرة على التحليل والمعرفة، وبعد ذلك تقوم مراكز متعددة بالتفاعل فيما بينها للقيام بعملية التحليل والمعرفة والوعي.

فعندما وصلت المعلومة عند الكفار إلى مراكز الإدراك أي السمع في الدماغ، فإنها لم تتعدّها إلى مراكز أخرى، لعدم رغبتهم في ذلك، فهؤلاء الكفار قادرون على التفكير بقوله تعالى، والرجوع عن الضلال واتباع الحق، وبالنهاية الوصول إلى النتيجة النهائية المتمثلة في الهداية، وهذا ما أراده الله سبحانه وتعالى، ولكن ما المانع من عدم الرغبة؟.

ربما يكون أن الإنسان لم يتعرض لمنبه خارجي يجعله يؤمن بالحقيقة أكثر من الدليل، ومصدر هذا المنبه هو المحيط الخارجي، فالإنسان وعلى الرغم من امتلاكه للحواس، إلا أنه لم يصل إلى درجة الوعي لإصدار الحكم ومعرفة المقصدية الحقيقة، وهي الهداية، وهذا ما يسمى في حقائق أسرار الطب الرعونة أي نقصان العقل، والمقصود بالعقل هنا القوة المفكرة (باوزير، 1428، ص49).

لذلك طلب الله سبحانه وتعالى منهم التنبه والتفكر، **فقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ: 46]**، "أي أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي، (تقوموا لله مثنى وفرادى)، وهذا تفسير للخصلة الواحدة، أو بدل منها أي هي قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالفكرة الصادقة، متفرقين اثنين اثنين، وواحدا واحد، لأن الاجتماع يشوش الفكر، وليس المراد القيام على الرجلين، بل المراد القيام بطلب الحق وإعمال الفكر فيه، كما يقال: قام فلان بأمر كذا ثم تتفكروا في أمر النبي، وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ما يصاحبكم من جنة وذلك، لأنهم كانوا يقولون: إن محمدا مجنون، فقال الله تعالى، قل لهم اعتبروا أمري بواحدة، وهي أن تقوموا لله، وفي ذاته مجتمعين، فيقول الرجل لصاحبه، هلم فلنتصادق، هل رأينا بهذا الرجل من جنة، أي جنون، ثم يتفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر، فإن في ذلك ما يدل على أن محمدا (ص)، صادق وأنه رسول من عند الله، وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون" (الشوكاني، د.ت، ص439، 440).

فالله سبحانه وتعالى بين أثر المحيط الخارجي على مراكز الإدراك، فطلب منهم الجلوس فرادى، ثم مثنى، فما فائدة الجلوس فرادى؟ فأراد الله سبحانه وتعالى أن لا يحصل تأثير خارجي، في مرحلة التفكير الأولى، ثم أمرهم بالجلوس مثنى، وليس مجموعات، حتى يدمج بين الخبرات بالوعي والفهم.

فيقول سيرل فأننا "حينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فأننا نؤدي أفعالا تمريرية، وحسب تقسيم أوستن، فالأفعال التمريرية تبين الآثار والنتائج المترتبة من خلال أمرك" (سيرل، 2006، ص202)، فالأفعال التمريرية هنا أحالت دون الوصول إلى الحقيقة، فأرادوا الكفار هنا أن لا يعرفوا الحقيقة بالكلية، فأغلقوا جميع المراكز والحواس، فعملية الفهم تكون أعلى عند مشاركة أكثر من مركز.

ومجمل القول: فإن عملية التواصل المتمثلة بالبراغماتية العصبية، لم تتحقق عند الناس العاديين، على الرغم من سلامة جميع الأعضاء الحسية، ومراكز الإدراك، لأسباب نفسية ناتجة عن أثر خارجي، سيطر على جميع المراكز، وأحال دون وصول الحقيقة إليها، بالإضافة إلى عدم إرادتهم إلى معرفة الحقيقة بالكلية، لأن التكامل بين الأجهزة يحقق الإدراك الحقيقي.

ثانيا: الأفعال الدالة على البصر.

تعد حاسة البصر وسيلة مهمة للمعرفة، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لها آلة تقوم بوظائفها وهي العين، ذلك المصباح المنير الذي جعله الله في أعلى الوجه ليصل به الإنسان عن طريق النظر والتأمل إلى حقائق الدين وأمور الدنيا (خليل، 2002، ص9).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى موضع الإبصار في العين مقدار عدسة واحدة، فأظهر في تلك العدسة صور السماء والعالم، مع اتساع في أطرافها وتباعد أكنافها، كما جعل البياض فيها مناسبًا للنور والسواد مناسبًا للظلمة، كما أنه سبحانه جعل الحدقة مصونة بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها، وتدفع الأقذار عنها، فضلا عن ذلك جعلها سوداء، إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر، فضعف الإدراك، فإن السواد يجمع البصر، ويمنع من تفرق النور الباصر، كما جعل سبحانه تحريك الحدقة وتقليبها أربعا وعشرين عضلة، لو نقصت عضلة واحدة لأختل أمر العين (خليل، 2002، ص10).

وفي اللسانيات المعرفية، "يعتبر الإدراك البصري نوعًا مخصوصًا من التجربة البصرية، بقدر ما يعتبر، في نفس الوقت، مصدرًا أساسا من مصادر معرفة الإنسان عن العالم، بل إنه يتفاعل بطرق متعددة وفكر الإنسان وذاكرته وباقي بنيته المعرفية" (غاليم، 2021، ص233).

وهناك عدد من المناطق الدماغية، إذ تختص كل واحدة منها بمظهر بصري معين، كالحجم والحركة واللون، والعلاقات الفضائية، وتتفاعل فيما بينها عبر وجاهات محددة، ولا يوجد منطقة يتشكل فيها التمثيل التام للحقل البصري دفعة واحدة (غاليم، ص232).

وتعد حاسة الإبصار الحاسة المهيمنة، مقارنة بباقي الحواس كالسمع والتذوق والشم واللمس، وربما يكون السبب هو أن العين تضفي بعدًا مفاهيميًا تكميليًا لما تسمعه الأذن، لذلك يقدم السمع دوما على البصر في القرآن الكريم، فحاسة السمع تعد من الحواس غير القابلة للكف، على خلاف البصر الذي يمكن كفه وإيقافه بسهولة عن حيز الإدراك، إذ يقوم الدماغ بمعالجة المعلومات البصرية الواردة إليه، ثم يقوم بأفضل تخمين لما يسمعه (طعمة، 2019، ص207). وقد قدم القرآن الكريم السمع على البصر في أكثر من سبع وعشرين موقعًا، فيمتاز جهاز السمع على البصر بإدراك المجردات كالموسيقى مثلا، فيستطيع الموسيقي أن يميز نغمة آلة عن بقية الآلات، وكذلك الأم تستطيع أن تميز صوت بكاء طفلها من بين آلاف الأصوات (مدكور، ص70-71)، ويتم السمع عن طريق الدماغ "يأخذ الدماغ في تشفير مدخلات التجربة الجسدية، على هيئة معلومات عصبية، ويعيد تنظيم بنيته، تكيفًا معها ومن ثم يعاود التأثير في بيئته، من خلال مجموعة من المخرجات - هي علامة ثقافية - من شأنها تخليق بيئة ثقافية جديدة تقتضي شروع الدماغ البشري مرة أخرى في التكيف معها" (طعمة، ص228).

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: 258].

يقول تعالى في هذه الآيات "هل رأيت - أيها الرسول - أعجب من حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته، لأن الله أعطاه المُلك فتجبر وسأل إبراهيم: من ربك؟ فقال عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا، ويسلبها الحياة فتموت، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال: أنا أحيي وأميت، أي أقتل من أردت قتله، وأستبقي من أردت استبقاءه، فقال له إبراهيم: إن الله الذي أعبده يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير هذه السنة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؟ فتحير هذا الكافر وانقطعت حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب" (القرني، 2009، ص43).

تميزت حاسة البصر هنا، بارتباطها بالفهم والتحليل، حيث انتقل إبراهيم عليه السلام إلى حجه لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للطاغية أن يخرج عنها بمخرج مكابرة أو مشاغبة أو تلبس على العَوام (القاسمي، ص681)، فقال له إبراهيم: إذ كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تأتي كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما ادعيت فأت بها من المغرب (القاسمي، ص713).

فعندما تلقى المخاطب (النمرود) (المحلي، ص258) المعلومة، عن طريق العضو اللازم وهو كما ذكرنا (البصر) في قوله تعالى (ألم ترى)، من خلال مستقبلات حسية مرتبطة بمراكز خاصة موجودة في الدماغ، فإن هناك وكما ذكرنا سابقا، لا بد من تفاعل عدة أعضاء في استقبال المعلومة، وفي هذا السياق تفاعل السمع مع البصر لوصول المعلومة، وذكر البصر هنا لأن المتكلم (إبراهيم عليه السلام)، أعتمد على الحجة، لبيان الحقيقة وإدراكها، فكيف ترى أيها المخاطب جميع هذه الدلائل، ولا تدرك عظمة الخالق، ولكن وصلت المعلومة إلى المخاطب وإلى مراكز الإدراك الخاصة بالسمع، لكن المخاطب عمل وبإرادته على إيقاف التأثير الحسي، الذي جاء من المحيط الخارجي والخبرات السابقة، الذي تبدأ بعده عملية التحليل نتيجة الاتصال مع المراكز الحسية الخاصة بالسمع والبصر، فاكتفى المخاطب هنا بالأفعال الكلامية المنبعثة من المتكلم، وأحال دون وصولها إلى مراكز الإدراك، ليتحقق الفهم الحقيقي المبني على الأفعال التمريرية، بسبب وجود مرض يتمثل في نقص القوة المفكرة وهي الرعونة، والدليل على ذلك أيضًا **قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ) [آل عمران: 65]**، حيث نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، والمعنى: لا يسوغ لكم يا معشر اليهود والنصارى أن تجادلوا في دين إبراهيم وشريعته، فيدعي البعض أنه كان على الديانة النصرانية، فإن التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعده بأزمان طويلة، فكيف يكون يهوديا بدين التوراة مع أنها ما نزلت إلا من بعده، أو كيف يكون نصرانيًا بدين الإنجيل مع أنه ما نزل إلا من بعده، بآلاف السنين؟ (الطنطاوي، ص135)، ولكن أحالت القوة المفكرة في هذه الآيات المبنية على التحليل والتأويل دون وصول الحقيقة والمقصد من ذلك، على الرغم من وجودها، وسهولة إدراكها.

ثالثا: الأفعال الدالة على اللمس.

أما حاسة اللمس فليس لها آلة معينة تؤدي وظيفتها، بل جعل آلاتها تنتشر على الجلد المغطى للجسم كله، إذ ليس لهذه الحاسة عضو خاص بها كسائر الحواس الأخرى، بل إنها توجد على سطح سائر الحواس أيضًا (خليل، ص13).

وتنتقل الإحساسات من العالم الخارجي، عن طريق أجهزة الإحساس المنتشرة تحت الجلد، إذ تنتهي الألياف العصبية بجسيمات يختص كل نوع منها بنقل حس معين، فهنالك جسيمات تنقل الإحساس بالحر، وأخرى بالبرد، وثالثة باللمس والضغط ورابعة بالألم، وخامسة بالحس العضلي (خليل، ص13).

قال تعالى: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [فصلت: 21].

وفي هذه الآية "قال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله لجلودهم معاتبين: لم شهدتم علينا؟ فأجابتهم جلودهم أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئًا، وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء (القرني، ص479).

في هذه الآية مشهد آخر غيبي، لأعضاء الحس، هنا الجلد يتكلم، وكأنه مركز إدراك مستقل، يعمل بآلية دون الحاجة إلى المراكز الأخرى، ولكن بعد أن تخزن فيه المعلومات ويتعرض لمنبه، كما مر بنا في الآيات السابقة، ثم تنتقل المعلومة من مراكز حسية موجودة داخل الجلد، فيقول عبد الدائم الكحيل: لاحظ العلماء في السنوات القليلة الماضية أن هناك ذاكرة لخلايا الجلد، وتعد هذه الذاكرة أطول ذاكرة في جسم الإنسان، فالأحداث التي تمر على الإنسان جميعها تخزن في سجلات خاصة، داخل خلايا (الكحيل، http//m: facebook.com.) ، وعليه عندما يستدعي الله سبحانه وتعالى الجلد، فإن المعلومات التي جاءت من المحيط الخارجي، ونتيجة التعرض إلى موقف ما خاص بالمركز البصري أو السمعي، فأنها تخزن داخل ذاكرة، وعند السؤال، فالإحساسات تنتقل من هذه الذاكرة، وتبدأ بعدها عملية الاتصال.

وفي السياق الخاص نزلت الآية في "عن عبد الله بن مسعود، قال كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر قرشيان، وثقفي أو ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما تقول، فقال الآخر، يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الأخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا" (ابن عاشور، ص270).

وفي سورة النساء قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(56)).

وفي هذه الآية دليل آخر على وجود مركز الإحساس في الجلد، فيقول تعالى "إن الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته ووحي كتابه ودلائله وحججه، سوف ندخلهم نارا يقاسون حرها، كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها، ليستمر عذابهم وألمهم" (القرني، ص87).

النتائج

1. تمثلت أفعال الحواس في الآيات القرآنية في أفعال دالة على السمع والبصر واللمس، وتتمثل آليتها بأخذ المعلومة من المحيط الخارجي كتأثير حسي، ووصولها إلى المراكز الحسية المتخصصة لكل عضو حسي الموجودة في قشرة الدماغ، ومن ثم تتفاعل مع مراكز الذاكرة والخبرات السابقة، ومن ثم الوصول إلى النتيجة المتمثلة في الوعي.
2. تبين أن نجاح عملية التواصل في اللسانيات العصبية مرتبط وبشكل كبير في الوعي الناتج عن تفاعل المراكز الحسية مع مراكز الذاكرة بالإضافة إلى الخبرات السابقة.
3. إن عملية التواصل المتمثلة بالبراغماتية العصبية لم تتحقق عند الناس الطبيعيين، بسبب عدم التكامل بين الأجهزة، فأحال ذلك دون وصول الإنسان إلى معرفة الحقيقة، ويعود ذلك إلى أسباب نفسية، وثقافية ناتجة عن المحيط الخارجي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحمد، عطية سليمان. (2019). اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية). د.ط. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

أحمد، عطية سليمان. (2020). في اللسانيات العصبية، التداولية العصبية (التداولية التي لم نعرفها). د.ط. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (2001). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. اعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. الرياض. مكتبة العبيكان.

سيرل، جون. (2006). العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي. ترجمة: سعيد الغانمي. ط1. الدار العربية للعلوم.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250هـ) (د.ت). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. د.ط. اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، جزء4، بيروت. دار المعرفة.

صحراوي، مسعود. (2005). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. ط1. لبنان. دار الطليعة للطباعة والنشر.

طعمة، عبد الرحمن، وعبد المنعم، أحمد. (2019). النظرية اللسانية العرفانية، دراسات إبستمولوجية، د.ط. رؤية للنشر والتوزيع.

الطنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج2. المكتبة الشاملة. www.shamela.ws

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير، ط1. جزء 9. الدار التونسية للنشر.

عبد العزيز، محمد كمال. (د.ت). إعجاز القرآن في حواس الإنسان (دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث). د.ط. القاهرة. مكتبة القرآن.

غاليم، محمد. (2021). اللغة بين ملكات الذهن. بحث في الهندسة المعرفية. ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة.

القاسمي، محمد جمال الدين. (1957). محاسن التأويل، ط1.

القرني، عائض. (2009). التفسير الميسر، ط2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

مدكور، علي أحمد. (1991). تدريس فنون اللغة العربية. د.ط، الرياض. دار الشواف.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين، ط1. دار الحديث، القاهرة.

الرسائل الجامعية:

خليل، أنسام خضر. (2002). أفعال الحواس في القرآن الكريم، دراسة نحوية وصرفية ودلالية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.

باوزير، منال أبو بكر سعيد. (1428). ألفاظ الأمراض في القاموس المحيط للفيروزآبادي، دراسة دلالية. رسالة ماجستير. السعودية.

الأبحاث والمواقع الإلكترونية:

الطويسي، عادل. (1989). علم اللغة العصبي والإعجاز القرآني. دراسات. المجلد السادس عشر. العدد الثالث.

ابن قطاية، بلقاسم. (2018). تجليات التداولية في فهم المنطوق أثناء العملية التعليمية، مجلة مقاليد، العدد15.

الكحيل، عبد الدائم. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. http//m: facebook.com.